

محاضرات وندوات مصورة - الأردن - جامع النقي - الحلقة ٢١٦ : قال تعالى : وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.....

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٦-٠٦-٠٧.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين،
وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارض عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم
أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القريات.

العبادة علة وجود الإنسان في الدنيا :

أيها الأخوة الكرام، الله عز وجل يقول في سورة الأنفال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾

[سورة الأنفال: ٧٢]

أي إذا كان حال بينك وبين أن تعبد الله ينبغي أن تغادره، علة وجودك في الدنيا العبادة، فإذا بلاد
منعتك أن تعبد الله ينبغي أن تهجره،

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا﴾

الجهاد بذل أقصى المستطاع من أجل هدف نبيل، لذلك هناك جهاد النفس والهوى، أنا أرى أن
هذا الجهاد الأصلي الأساسي، كما أنه لدينا تعليم أساسي وثانوي وجامعي، الجهاد الأساسي جهاد
النفس والهوى، لأن المهزوم أمام نفسه لا يستطيع أن يواجه نملة.

المشكلة الآن يوجد انهزام داخلي، الإنسان كرمه الله وشرفه، والأمر بيد الله، لكن إذا كان هناك
انهزام داخلي فالمشكلة كبيرة، لذلك المهزوم أمام نفسه لا يستطيع أن يواجه نملة، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾

أي آمنوا بالله إيماناً حملهم على طاعته، وهاجروا: هجروا ما نهى الله عنه، أوسع معاني الهجرة أن
تهجر إنساناً سيئاً، صديقاً سيئاً، انحرافه شديد، لا يصلي، مزاحه فاحش، يجب أن تهجره،

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾

أو أن تنتقل من بلد منعت أن تقيم أمر الله فيه، معنى واسع جاد، يقولون: باب الهجرة أغلق بعد
فتح مكة، ولكنه مفتوح على مصراعيه بين كل بلدين تشبهان مكة والمدينة، مكان حال بينك وبين
أن تصلي، أو بينك وبين أن تحجب بناتك ينبغي أن تغادره،

﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوُوا وَنَصَرُوا﴾

آووا مهاجراً، آووا هارباً من بطش حكاهم، هذا له أجر كبير،

﴿آوُوا وَنَصَرُوا﴾

دقق الآن

﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾
حتى يهاجروا، ما لم تتخذ موقفاً في صالح إيمانك هذا الإيمان لا يقدم ولا يؤخر،
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾
حتى يهاجروا،
﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾

تخطيط الغرب لتدمير الإسلام :

الآية طويلة أما الشاهد:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾

[سورة الأنفال: ٧٣]

يخططون لكم، يسهرون على تدمير الدين بوسائل ذكية جداً، أنواع من الخبث والمكر لا يعلمها إلا الله، أحياناً يحضر لك إنساناً رافعاً شعاراً إسلامياً بشكل صارخ، يرتكب أعمالاً تخرج من جلدك منها، هذا الدين؟! أكبر إساءة للدين أن تبرز نماذج لا تحتمل من العنف، من الفظاظة، من تشويه الإنسانية، قال تعالى:

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾

[سورة إبراهيم: ٤٦]

الآن أي جبل هنا بعمان، جبل قاسيون بالشام هل ينقل لدرعا؟ لو اجتمعت قوى الأرض بكل ما تملك من آلات وعلم أن تنقل جبلاً من مكان لآخر لا تستطيع، الله شبه مكر الكفار:

﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾

بعد ذلك يطمئننا:

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَعِدِهِ رُسُلُهُ﴾

[سورة إبراهيم: ٤٧]

الآن كلام دقيق؛ الجهاد ذروة سنام الإسلام، فالإنسان إذا جاهد النتائج واضحة جداً، أحياناً يتساءل الإنسان: ممكن جماعة ليست دولة منظمة مقاومة تصنع طائرة وتحلق فوق تل أبيب وتقصفها؟ وعود الله لا تتغير بأي عصر، بأي زمن، بأي ظرف، وعد الله موجود، أقول كلمة ثانية: زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين.
الآن،

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾

يخططون، يسهرون، كنت مرة بأمريكا اطلعت على فيلم سياسي؛ باص مدرسة حضانة، والأطفال مثل الورود، يأتي إنسان يضع لغمًا فينفجر الباص، الذي فجر الباص وقتل خمسين طفلاً يصلي

ركعتي شكر الله على أنه وفق في قتل هؤلاء الصغار، أثناء السجود يسقط مصحف من جيبه، والله كل فيلم بأمريكا إذا إنسان لا يوجد عنده فكرة عن المسلمين يكره الإسلام كراهية تفوق حدّ الخيال، يخططون، أنتم مقصرون اعملوا، أي من يصدق أن أفلام الكرتون كلها إباحية وإلحاد، فيلم الكرتون الذي يعرض في كل التلفزيونات يوجد دعوة للإباحية، تخرج قطعة من ثيابها تأخذ علامة، القطعة الثانية تأخذ علامتين، إلا أن تتعري، فيلم كرتون، يوجد تخطيط مذهل،

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾

طرق تأديب الله للمسلمين :

دقق:

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾

[سورة آل عمران: ١٢٠]

ينتهي الكيد كله،

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾

الآن الصبر مع المعصية ما بعده إلا القبر، الصبر مع الطاعة بعده النصر، يوجد صعوبات شديدة، العدو شرس وقوي، تصبر مع الطاعة يوجد نصر، تصبر مع المعصية يوجد قبر فقط، لذلك:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾

يتعاونون، يخططون، والله يوجد تخطيط سمعته من اثنتي عشرة سنة والآن تحقق، لي صديق مقيم بأمريكا ما معنى شرق أوسط جديد؟ هذا الشيء مطروح من اثنتي عشرة سنة، التي صممتها ريس وزيرة خارجية أمريكا، إنشاء دويلات صغيرة ذات طابع مذهبي وطائفي، متحاربة فيما بينها حول إسرائيل، وبهذا ينتهي الإسلام والعروبة معاً، لكن أطمئنكم ما كل ما يخطط له أعداء المسلمين يسمح الله به،

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾

ما كل ما يخطط لنا يسمح الله به إلا إذا كان هناك حكمة بالغة، الله عندما يريد أن يؤدبنا يسمح لبعض خطتهم أن تؤدبنا

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾

الآن

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾

هذه الهاء على من تعود؟ الشيء الذي يلفت النظر تعود على الآية السابقة بأكملها:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ
اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ* وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَظْمِهِمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾

[سورة الأنفال: ٧٢-٧٣]

يسهرون، يخططون، يتآمرون، أذكر مرة قصة أنا ألقت كتاباً، وأوردت القصة في الكتاب، ملك
الغساسنة جاء مسلماً، سيدنا عمر رحب به ترحيباً شديداً، هذا الملك أثناء طوافه حول الكعبة بدوي
من عامة الناس فقير جداً داس طرف رداؤه فانخلع رداؤه عن كتفه، فهذا الملك ضربه ضربة هشمت
أنفه، هذا الأعرابي من فزارة شكاه لسيدنا عمر فاستدعاه، الآن سيدنا عمر أمام ملك وإنسان بالتعبير
المعاصرة من دهماء الناس، من عامتهم، من سوقتهم، والحوار بين جبلة وبين سيدنا عمر صاغه
شاعر معاصر توفي من أيام:

قال له: أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح؟ سيدنا عمر للملك جبلة للملك، قال له: لست ممن
ينكر شيئاً أنا أدبت الفتى أدركت حقي بيدي، قال له سيدنا عمر: أرض الفتى لا بد من إرضائه مازال
ظفرك عالقاً بدمائه، أو يهشمن الآن أنفك وتنال ما فعلته كفك، قال له: كيف ذاك يا أمير المؤمنين
هو سوقة وأنا عرش وتاج؟ كيف ترضى أن يخمر النجم أرضاً؟ قال له سيدنا عمر: نزوات الجاهلية
ورياح العنجهية قد دفناها أقمنا فوقها صرحاً جديداً وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً، فقال جبلة:
كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز أنا مرتد إذا أكرهتني، قال له: عنق المرتد
بالسيف تحز عالم نبنيه كل صدع فيه يداوى وأعز الناس بالعبء بالصلعوك تساوى.

هذا العصر عصر مبادئ، أحد علماء الجزائر رتب العصور كمايلي: قال هناك عصر مبادئ،
وعصر أشخاص سيدنا صلاح الدين، وسيدنا فلان، وعصر أشياء، الآن قيمتك كلها تنتزعها من
مساحة بيتك، قيمتك الآن تستمدتها من متاعك، ويوجد نص دقيق: "بأخر الزمان قيمة المرء متاعه".
مكان بيتك، يوجد أحياء غالية، وأحياء رخيصة جداً، مساحته، نوع الأثاث، نحن عندما نقيس
مكانتنا بمتاعنا انتهت المبادئ والقيم كلها.

تخطيط الغرب لإضلالنا ثم إفسادنا ثم إفقارنا ثم إذلالنا :

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَظْمِهِمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾

هذه الهاء على من تعود؟ تعود على

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَظْمِهِمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ﴾

يسهرون طوال الليل، يخططون لإفشال المسلمين، الغرب إلى ماذا يهدف؟ أول شيء يهدف
لإضلالنا ثم إلى إفسادنا ثم إلى إفقارنا ثم إلى إذلالنا، هذه الخطة الثابتة، أول شيء إفقارنا، معقول

أمة إسلامية تملك نصف ثروات الأرض وأعلى مستوى فقر بالعالم؟ معقول أمة تملك من مقومات الوحدة ما لا تملكه أمة في الأرض؟

كنت مرة بإسبانيا دخلت إلى فرنسا لا يوجد حدود، مرة انتقلت من سويسرا لإيطاليا أين الحدود؟ لا يوجد حدود، عندما رأوني استغربت، نزلنا من السيارة كان على الزفت خط من الحجارة السود قال: هذا الخط هو الحدود بين إيطاليا وسويسرا، أوروبا كلها علم واحد، ميزانية واحدة، شيء غير معقول إطلاقاً، ويوجد حروب بينهم لا يعرفها إلا الله وخمسون قومية، فكروا رأوا أن مصلحتهم بالتوحد، نحن أحياناً نقف ساعتين على الحدود بين بلد وأخرى أي عندنا مشاكل كبيرة جداً.

العنوسة أحد أكبر المشاكل التي تعاني منها الأمة الإسلامية :

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾

دقق

﴿ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادًا كَبِيرًا ﴾

أتمنى أن أنقلكم نقلة سريعة لنص مشابه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادًا..))

[الترمذي، ابن ماجه عن أبي هريرة]

هذا الدافع الجنسي عميق في الإنسان، فإذا لم يتحقق بطرق مشروعة شرعية دينية سيتحقق بطريق آخر، فكلما ضاقت سبل الزواج في بلد ما اتسعت سبل السفاح، يوجد نكاح ويوجد سفاح، والله معي معلومات عن بلد إسلامي فيه خمسة عشر ألف بيت دعارة، مادامت طرق الزواج كلها مغلقة يحل محلها السفاح، إما نكاح أو سفاح، فالقضية خطيرة جداً، مثلاً من يصدق أنه يوجد بلد إسلامي من أهم البلاد نصف نسائه بلا زواج، هذه أخطر مشكلة، ولا أحد منتبه لها، إنها العنوسة، الفتاة نجاحها الأكبر أن تتزوج، ويوجد عقبات أمام الزواج، يوجد أخطاء كثيرة، مثلاً العنوسة في بعض البلاد خمسون بالمئة، يوجد بلد نسبة العنوسة فيه ثمانية عشر بالمئة، وبلد ثمانية بالمئة، هذه مشكلة كبيرة جداً، هذه الفتاة صممت أن تكون زوجة، أمماً، درسنا في علم النفس أن أقوى دافع في الجنس البشري الأمومة، ليس موضوع اللذة إطلاقاً بل الأمومة.

مرة امرأة خبرتني والله بكيت قالت لي: ممكن أن يتزوجني أن ويطلقني فقط بعد أن أنجب طفلاً، تريد طفلاً قبلت أن يتزوجها ويطلقها فقط من أجل أن تتجب ولداً منه.

عندنا مشاكل كبيرة جداً، أحد أكبر المشاكل العنوسة، في بلاد نصف النساء بلا أزواج، هذا عبء، وعندها حاجة كبيرة، أكبر دافع في الجنس البشري الأمومة، أن تكون أمماً.

أخواننا الكرام، الأمر يحتاج إلى جهد، وتعاون، وبقظة، نحن معركتنا الآن نكون أو لا نكون، الغرب يسعى لإضلالنا وإفسادنا وإفقارنا، أمة تملك نصف ثروات الأرض وليس لها من هذه الثروات إلا القليل.

فذلك أخواننا الكرام؛ فكر، أنت فكر كشاب إذا أتقنت عملك، كنت مرة بديترويت هنالك خمسة آلاف طبيب سوري معهم بورد أقاموا هناك دائماً، هؤلاء لو أتوا لبلادهم أتت أمريكا لعندنا، إذا شخص عنده عمل جراحي صعب ويحتاج إلى الذهاب إلى أمريكا ماذا يكلفه؟ يكلفه هذا ملايين، خمسة آلاف طبيب سوري أقاموا بديترويت بأمريكا، وبلادهم بحاجة لهم، أي القصة معقدة جداً، لكن كل شخص بإمكانياته يساهم بحلها.

أنا أقول: إذا أتقن الإنسان عمله ساهم بحلها، إذا قام بواجبه ساهم بحلها، وأقول لكم كلمة ثانية: عادات المؤمن عبادات، أتقنت عملك كمؤمن أنت ساهمت في حل مشكلة، وعبادات المنافق سيئات، فأنا يهمني في هذا الدرس

﴿إِلَّا تَقْطُوهُ﴾

هذه الهاء من أندر أنواع الضمائر، يعود هذا الضمير على الآية السابقة بأكملها،

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾

إذا لم نتعاون، الآن طرح أي قضية خلافية جريمة بحق الأمة، لأن عوامل التوافق مليون ضعف عن عوامل التفرقة.

من فترة ميركل قامت بتصريح قالت لهم: يوجد بأسيا مئة و خمسون ديناً، و مثلنا إله، وهم يعيشون بسلام، والأمة العربية إله واحد، و نبي واحد، و قرآن واحد، و الدماء بالطرقات، هذه وصمة عار بحقنا. أخواننا الكرام؛ أنت تساهم بإتقان عملك فقط، إتقان عملك هذا مساهمة، تكون أباً صالحاً، زوجة صالحة، فالأمر وصل لدرجة نكون أو لا نكون.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يحفظكم جميعاً، ويحفظ إيمانكم إن شاء الله وأهلكم وأولادكم وصحتكم ومالككم.

والحمد لله رب العالمين